

1. بيداغوجيا الكفايات :

تعتبر بيداغوجيا الكفايات هي التغيير الأساسي الذي تم إدخاله على المنظومة التربوية الجزائرية، من خلال الإصلاحات التي قام بها المسؤولون عن قطاع التربية والتعليم في العشرة الأخيرة، إذ لم تعد المدرسة الجزائرية قادرة على إعداد أفراد ذوي خبرات عملية ومؤهلين للاندماج في الحياة العملية، وذوي كفايات تمكنهم من المناصب التي توفرها السوق الداخلية التي هي متقلبة بصورة مستمرة وسريعة، بمقتضى العولمة الاقتصادية السائدة في العالم.

هذا ما ترتب عنه ضرورة إصلاح المنظومة التربوية باعتماد بيداغوجيا الكفايات التي حققت نجاحا في تحسين جودة التكوين المهني الذي اعتمد المقاربة بالكفاءات قبل غيره، وكأن هذا النجاح حافز لكثير من الأنظمة التربوية للأخذ بها واعتبارها خيارا استراتيجيا ومدخلا للتجديد وتحديث المناهج التعليمية بمكوناتها (برامج، طرائق تربوية كتب مدرسية، تقويم... الخ)، وقد تم اعتماد هذه الأخيرة من أجل الانتقال من فلسفة التكوين، التي تقوم على سؤال جوهرى وهو كيف نكوّن المتعلم ونرفع من أدائه إلى مستوى الكفاية المطلوبة للتكيف مع المشكلات المحلية والعالمية ؟

أ- مفهوم بيداغوجيا الكفايات:

يعرفها روبول (Olivier Reboul 1992-1925) بأنها « تلك البيداغوجية التي تهدف إلى ترسيخ ما يسمى عموما بالمعلومات. وهكذا تتعارض بيداغوجيا الكفاية بصورة مبدئية مع فكرة أن تكون غاية التعليم - بأي شكل نريد- هي المعلومات بحد ذاتها التي نزود بها التلميذ، أو المعارف في ذاتها بنوعها النظري أو العملي وإنما بكل اقتضاب بهدف التعليم في نظرها إلى تزويد المتعلم بالكفاية أو الكفايات والمقصود دفع التلميذ ليس فحسب إلى معرفة شيء ما وإنما إلى الدفع به على القدرة أساسا على المعرفة الذاتية لكل ما يفترض به معرفته»¹.

حيث يميز روبول بالنسبة للمعرفة تمييزا دقيقا بين المعرفة العملية والمعرفة النظرية، فيفصد بالأولى القدرة على الفعل أما الثانية القدرة على الفهم وأن الكفاية هي

القدرة على الحكم الصائب الذي تعتمد فيه على كلتا القدرتين وتتجاوزهما في الوقت ذاته ويصل بعد تحليل دقيق للكفاية ومكوناتها من مفاهيم إلى أنها تتطابق مع الذكاء الذي يجعل الفرد قادرا على التكيف مع الوضع الراهن والمواقف الجديدة. كما يقول فيليب بيرنو **Philippe perrenoud** بأنها ذات « دلالات متعددة سأحدد ها هنا باعتبارها قدرة على التصرف بفعالية في نمط معين من الوضعيات، فهي قدرة تستند إلى المعارف ولكنها لا تختزل فيها، فلمواجهة وضعية ما يجب استخدام موارد معرفية متكاملة ومتعددة ومنها المعارف»².

ومنه نجد أن المقاربة بالكفاءات تسعى إلى تنمية قدرات المتعلم من تجنيد مجموعة من المواد المدمجة، لحل وضعية إشكالية تنتمي إلى نوع من الوضعيات فهذه المقاربة تعتبر بيداغوجيا الإدماج مرجعا لها، فهي تجعل من المعارف المدرسية أدوات للتفكير والتصرف، وتنتقل بالمتعلم من مستقبل للمعرفة إلى باحث عنها.

ومادامت «الكفاية هي توظيف مجموعة من الموارد المدمجة بشكل وارد لمعالجة عدد من الوضعيات في صيغة مشكلات»³، فهي تركز على المتعلم وقدراته واستعداداته وأسلوبه في توظيف خبراته المعرفية السابقة والجديدة، و توظيف الوسائل

المتاحة في الوسط الذي يكون فيه لمواجهة الموقف الراهن أو حل المشكلات، والمعلم هنا يصبح واسطة بين المعرفة - بأنواعها- والمتعلم وموجها لهذا الأخير، لاستغلال قدراته واستخدام الأسلوب الصحيح للوصول إلى المعرفة المراد تحقيقها عمليا، وتنمية شخصية المتعلم كفاية في حد ذاته، وكفاعل إيجابي ينتظر منه

1 لطفي الحجاوي، فلسفة التربية الاشكالاتالراهنه، ص 56

2 الحسن اللحية، الكفايات في علوم التربية بناء كفاية، (ط 1، الدار البيضاء: افريقيا الشرق، 2006) ص 129.

3 لحسن توبي، بيداغوجيا الكفايات والأهداف الاندماجية، (ط 1، الدار البيضاء: مكتبة المدارس، 2006)، ص 63.

المساهمة في الارتقاء بمجتمعه في كل المجالات داخليا أو خارجيا. على خلاف البيداغوجيا السابقة التي كانت تركز على المعلم وتجعل منه محور العملية التعليمية التعلمية.

ب- الخلفية العلمية لبيداغوجيا الكفايات:

أولا: على مستوى نتائج البحث في علم النفس:

لقد كانت المرجعية في وضع بيداغوجيا الكفايات، هي نتائج "علم النفس الفارقي"، التي أكدت على الفروق بين المتعلمين، وأن لكل متعلم أسلوبه في الفهم والتصور أو التمثل أو حتى طريقته في اكتساب المعرفة، وهذا عكس ما تعتقد به المدرسة السلوكية التي تعتقد أن المتعلمين يشكلون مجموعة متجانسة وبالإمكان منحهم تعليما جماعيا. وبهذا كان علم النفس الفارقي سببا في ظهور اتجاه بيداغوجي جديد يقوم على تفريد التعلم بالإضافة أيضا لأبحاث الأمريكي "هوارد كاردنر" (1943) **howard gardner** (73 سنة) التي صاغها في نظرية الذكاءات المتعددة، والتي مفادها أن الأفراد يتوفرون على ذكاءات مختلفة ومتعددة حصرها في ثمانية أنواع: (الذكاء اللغوي - الذكاء المنطقي الرياضي - الذكاء الجسمي - الذكاء الاجتماعي - الذكاء البصري - الذكاء الذاتي - الذكاء الطبيعي - الذكاء الموسيقي). ولاحظ كاردنر أن مختلف الأنظمة التربوية يحظى فيها الذكاء اللغوي والمنطقي الرياضي بأهمية بالغة مقارنة مع الذكاءات الأخرى، وأكد على ضرورة الاهتمام بها لأن المجتمعات المعاصرة بحاجة لها، فضلا عن كونها تتضمن قدرات متنوعة تتطافر فيما بينها لتشكل شخصية متوازنة متكاملة⁴.

ثانيا: على مستوى نتائج البحث في علوم التربية:

نجد أن بيداغوجيا الكفايات في هذا المجال تستمد مرجعيتها من النظريات أو التيارات التربوية الحديثة، بعدما تبين عقم المدرسة السلوكية التي حصرت التعلم في مجرد رد فعل لمنبهات، إهمال الفوارق الفردية والإطار السوسيو-ثقافي الذي يتم فيه فعل التعلم. فظهرت النظريات البنائية (**constructiviste**) والمعرفية (**congnilivisle**) والسوسيو-بنائية (**Socio-construcliviste**)، فالأولى (البنائية) تقوم على مبدأ أن التعلم فعل نشط ويتم بناء المعارف الجديدة بربطها بالسابقة، وأن المتعلم يقيم معارفه بشكل فردي من خلال علاقته بالأشياء وتفاعله مع المحيط، أما النظرية المعرفية التي ينظر روادها للممارسة التعليمية من زاوية السياقات المعرفية الداخلية، التي يتم بفضلها تفاعل الفرد مع محيطه، وهي تقوم على أساس أن التعلم هو تعديل لتمثلات وشيمات الفعل لدى المتعلم بصورة دائمة⁵.

وفيما يخص السوسيو بنائية: فهي نظرية تعليمية قائمة على مبدأ التفاعلية وتركز اهتمامها على المكون الاجتماعي. فالفكر بالنسبة لها ينطلق من المجتمع إلى الفرد وأن المتعلم (الطفل) يمر بمرحلتين في تعلمه، إحداهما يعتمد فيها على الراشد وفي الثانية يصبح بإمكانه الاعتماد على نفسه، فيمكنه معالجة وضعية ما دون مساعدة أحد، « وبهذا فإن فيكوتسكي ميز بين لحظتين من عمليات التعلم: الأولى يضطلع فيها الراشد بدور أساسي، أما الثانية فتكشف عن تطور الطفل، حيث تبدأ العمليات الداخلية الفردية في العمل»⁶.

كما يرى أصحاب هذه النظرية أيضا أن المتعلم لا يطور كفاءاته إلا بمقارنة إنجازاته بإنجازات غيره، أي بالتفاعل مع الآخرين.

ج- الخلفية الفلسفية لبيداغوجيا الكفايات:

تمثل الفلسفة التربوية المعاصرة بنظرياتها الأساس الذي تقوم عليه بيداغوجيا الكفاءات، ومن بين هذه النظريات لدينا: (النظرية البرغماتية والتقدمية، النظرية الوجودية، النظرية الواقعية، النظرية الديمقراطية، والأساس الليبرالي الاقتصادي وأساس العولمة)، كلها تعتبر أساسا لهذه المقاربة، فعند التعرف عليها نظريا

4 زكية مازغ، شكير حسن، شكير عكي، تكوين الأساتذة المتدربين السلك الثانوي، مصوغة الجذع المشترك: المنهاج-الكفايات-التقويم، 2010-2011، PDF، ص 27، 28.

5 زكية مازغ، شكير حسن، شكير عكي، تكوين الأساتذة المتدربين السلك الثانوي، ص 28، 29.

6 لحسن توبي، بيداغوجيا الكفايات والأهداف الاندماجية، ص 31.

وتطبيقها عمليا تظهر أفكار كل هذه الفلسفات فيها، ما يؤكد أن بيداغوجيا الكفايات هي نتاج تداخل واندماج أفكار كل هذه النظريات التربوية التي تقدم لنا فلسفة التعليم بجميع أهدافه ومراحلها ومنهاجه، بالإضافة إلى أنها كلها تعتبر المتعلم هو المحور الأساسي في العملية التعليمية العلمية.

د- خصائص الكفايات:

إن لطريقة التدريس بالكفايات مميزات الخاصة التي تجعلها متفردة ومختلفة عن غيرها من الطرق والبيداغوجيات السابقة، وسنحاول إيجازها هاهنا في أهم النقاط:

- أنها تجعل التعليم عملية متفردة وممتدة أي أن المتعلم يشعر بالحرية لإبداء رأيه وتوظيف قدراته والخبرات التي لديه وبخلاف فيها مع غيره من المتعلمين، ويمارس أنشطة التعلم في حدود قدراته، وهو في عملية التعلم يكتسب الكفاءة، ولكن هذا الاكتساب « لا يتم دفعة واحدة، بل يتم عبر مسار تكويني، قد يمتد على سنة أو سنوات أو سلك تعليمي أو أكثر، بل قد يتجاوز الحياة الدراسية إلى الحياة العملية»⁷. وهذا ما يسمى بخاصية الامتداد (**le prolongement**) المميزة للكفاءة.

- بالإضافة إلى خاصية التطور (**la progression**) حيث أن المعارف والقدرات وحتى الخبرات التي يتم اكتسابها، إذا لم يتم تعهدها بالدعم والتكوين المستمر قد تتراجع أو تنسى، ولذا قابلية الكفاية للتطور هي ميزة إيجابية فيها وألية أساسية لمواصلة تطوير الكفاءات التربوية والمهنية، وما يترتب عن هذا بالتالي هو أنها كذلك تمكن المتعلم من تفعيل مكتسباته من معارف ومهارات معينة في وضعيا مختلفة أخرى (حل المشكلات، تدبير وضعيات أو اتخاذ قرارات...)، وهذا ما يسمى بخاصية التحول

(**la transférabilité**) التي تعطي الكفاية طابعا وظيفيا وانتقائيا أيضا فليس كل ما يتعلمه المتعلم يوظفه في كل المواقف فهو ينتهي ما يتلاءم مع الموقف الراهن⁸.

أما بالنسبة لمستويات الكفاية فنوجزها في هذا الجدول الذي يبين مستوياتها ومراحل ظهورها في البرنامج التعليمي⁹

مراحل ظهور مستويات الكفاية	مستويات الكفاية
هدف إجرامي يتخلل حصة من الحصص (إجابات التلاميذ)	مؤشر الكفاية
الهدف الخاص من كل درس أو حصة من الحصص	كفاية حصة
ترتبط بعدد من الحصص أو بوحدة تعليمية أو ملف أو مجال.	كفاية قاعدية
تضم مجموعة من الكفايات القاعدية وتظهر في شهر أو في آخر الفصل.	كفاية مرحلية
تضم مجموعة من الكفايات المرحلية وتظهر في آخر السنة أو المرحلة.	كفاية ختامية
ترتبط بالمنهاج المقرر، تضم مجموعة من الكفايات الختامية لجميع الأنشطة المقرر	كفاية ختامية مدمجة

ه- طرائق التدريس بالكفاءات:

- 7 زكية مازغ، شكير حسن، شكير عكي، تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي، ص 35.
- 8 زكية مازغ، شكير حسن، شكير عكي، تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي، ص 35، 36.
- 9 على أوحيدة، التدريس الفعال بواسطة الكفاءات، (باتنة: مطبعة الشهاب، 2007)، ص 18.

إن هذه البيداغوجيا التي تم اعتمادها في المنظومة التربوية والتعليمية تنطلق أساسا من أن العملية التعليمية التعلمية تتشكل من ثلاثة أطراف (المعلم والمتعلم والمادة المعرفية)، فالأول يعتبر موجها ومسيرا ومنظما للعملية التعليمية التعلمية وواسطة بين المتعلم والمادة المعرفية، والثاني وهو المتعلم الذي يعتبر المحور الأساس في هذه العملية التي تركز عليه، فقد أعطي المتعلم هنا دورا جديدا في المدرسة، إذ أصبح لديه الحق في المساهمة مع المعلم لاكتساب معارفه في إطار علاقة تفاعلية أفقية، فالمتعلم يبحث ويحلل ويستخدم قدراته واستعداداته اللازمة لحل مشكلة أو

التكيف مع الموقف أو اتخاذ القرارات على حسب المستجدات والمتغيرات الحادثة وعليه وجدت بيداغوجيات متعددة عند منظري الكفاءات لتحقيق الهدف منها، ونذكر هنا ثلاث طرق:

1- طريقة حل المشكلات:

حيث يرى منظرو الكفاءات بأن الوضعية-المشكلة هي التي تبني كفاءة فعلية لا كفاءة افتراضية أو متوقعة، وفيها يتم تقويم الكفاية أو تعديلها، والوضعية-المشكل في علوم التربية « هي وضعية تعليمية يدركها المدرس ويضعها بغاية تعليم المتمدرسين، مفضلا منطلق التعلم على التعليم (التعليم بالمحتوى)، وتحدد بوجود

تلاميذ متعلمين ومكون مدرس و بعلاقات تفاعلات بين المدرس والتلميذ وبنوع من التعلم المحدد وبمحتوى للمعالجة وسلوك قابل للملاحظة في نهاية الوضعية وبتقويم تكويني واستراتيجية تعليمية واستراتيجيات معرفية فارقية ووسائل ومحيط، وعلى المدرس أن يتساءل إذا أراد أن يدرس بالوضعية التعليمية بماذا سيقوم تلاميذي في نهاية الوضعية ولم يكونوا قادرين على القيام به قبل ذلك؟ وماذا علي أن أقوم به لبلوغ ذلك؟ وماهي المهام التي تناسب ذلك؟»¹⁰.

2- طريقة المشروع: وتقوم هذه الطريقة على مشاركة كل فرد من أعضاء المجموعة بإنجاز العمل المسند لهم، كل حسب قدرته وكفاءته، وفي تنفيذها من أجل التصور أو الوضعية التي نأمل بلوغها، ف « المشروع هو بيداغوجيا تسمح للتلميذ بالانخراط التام في بناء معارفه في تفاعل مع نظائره ومحيطه، وتجعل في الآن نفسه المدرس وسيطا بيداغوجيا متميزا بين التلاميذ وموضوعات المعرفة التي ينبغي اكتسابها لهم»¹¹.

3- الطريقة الفارقة: تراعي البيداغوجيا هذه الفروق الفردية بين المتعلمين، من حيث قدراتهم واستعداداتهم وخبراتهم ومعارفهم السابقة، وقابليتهم للتعلم والاكتمال واختلافاتهم النفسية والسوسيو ثقافية، فهي تؤمن بالحق في اختلاف كل فرد عن الآخر في عملية التعلم، وأن على المعلم التعرف على إمكانياتهم وتنميتها وتبديد عدم رغبتهم في التعلم وعليه أيضا إيجاد وضعيات لإدماجهم في الحياة والوعي بقدراتهم وتعلم الاستقلالية فهذه البيداغوجيا هو الصراع ضد الفشل المدرسي، وبما أنها تقوم أساسا على التنوع، فهي تنكز التمركز ومركزية البرنامج المدرسي¹².

و- صعوبات تطبيق المقاربة بالكفاءات في النظام التربوي الجزائري :

التقويم: هو نشاط مقصود و منظم يعتمد على أدوات تربوية لقياس العملية التعليمية التعلمية من أجل تحديد مكان القوة لتدعيمها و الضعف لعلاجها عند المتعلم، ويتم عبر مهام مدمجة، ويعطي نتائج حسب درجة التحكم في الكفايات و استراتيجيات التعلم، فهو قياس نسبي يتضمن أحكاما قيمية. وهو أنواع: التقويم التشخيصي، التقويم التكويني، التقويم الإجمالي. انظر بهذا الصدد: - لحسن-توبي، بيداغوجيا الكفايات والأهداف الإندماجية، ص 159-163.

10 الحسن اللحية، الكفايات في علوم التربية بناء كفاية، ص 79

11 المرجع نفسه، ص 86

12 المرجع نفسه، ص 87-89

يواجه أي مشروع جديد عند الشروع في تطبيقه ، مجموعة من الصعوبات والعوائق التي تعرقل سيره وتحققه بنجاح ، وهنا في هذا المجال نجد أن أهم صعوبة هي عدم التحضير الكافي للمشروع في تطبيق هذه المقاربة ، وأيضا صعوبة فهم المقاربة نفسها، ونذكر هنا ثلاثة صعوبات أساسية :

الأولى تتمثل في تكوين المعلمين الذين من المفترض أن يكون لديهم كفاءة معرفية، أي التكوين في المادة التي يدرسها إذ لن يتمكن المعلم من التدريس بالمستوى اللازم والتحكم في الجانب المعرفي في المنهاج، إذ لم يكن تكوينه التخصصي متينا.

ثم الكفاءة البيداغوجية وهي كل ما يتعلق بكيفية إيصال المعارف على أحسن صورة ممكنة وتستند هذه الكفاءة على دعامتين هما فهم المتعلم (أي كل ما يزدونا به علم النفس من معارف حول خصائص المتعلم الذهنية والانفعالية والعضوية....)، والتحكم البيداغوجي (أي حسن توظيف الوسائل التعليمية والتشويق وتطبيق الإستراتيجيات المناسبة في التدريس وتحقيق التفاعل الصفي والتحكم في الأساليب التقويمية....). بالإضافة إلى قدرة المعلم على البحث فلا يمكنه الاعتماد على تكوينه القاعدي فقط وإنما عليه المحافظة على مستواه وتطويره باستمرار، بمواكبة المستجدات في ميدان التربية خاصة على المستوى البيداغوجي، والتحكم في الوسائل التكنولوجية أيضا التي تمكنه من هذا. أما الثانية فهي على مستوى التقويم إذ ترتبط بالأولى حيث أنها نتاج ضعف تكوين المعلمين في هذا المجال، فضلا عن صعوبة وجود مفتشين يتحكمون في هذا الموضوع¹³.

وفي ما يخص الصعوبة الثالثة فهي متعلقة بطبيعة المقاربة في حد ذاتها وتتمثل في : أنه لا يوجد لكفاءة عامة للتعليم ككل، لأن كفاءة خاصة بموضوع معين .

-الكفاءة ليست مرادفة للإبداع، فإذا كان هدف التعليم تكوين كفاءات فلا شيء يضمن أن تكون إبداعية بحق، وهنا تدخل أيضا فكرة الموهبة والخلاف حولها في التعليم.

- إن البيداغوجيا التعليمية لا تعلم بالأساس ثقافة اجتماعية معينة، وبالتالي لا يوجد لطابع عقلائي كامل ما، فمعنى الكفاءة يختلف وفق الزمان ووفق المطلوب والحاجات الاجتماعية.

- تعذر تقييم الكفاءة. فالعناصر الإيجابية فيها مثل التي لا تحسب أو التي لا توقع والحرية تلفت من التقييم¹⁴.

وأیضا الاهتمام أكثر بوضعیات برغمیات (نفعیة)، والتوجه نحو احترافية فعل التعليم التعلّم، كما نلاحظ تعذر بناء ووضعیات تعلیمیة مناسبة من حیث الدلالة فی كل الأنشطة التربویة.

كانت هذه بعض الصعوبات والنقائص التي يجب تجاوزها لتحقيق الهدف من تطبيق بيداغوجيا الكفاءات في المنظومة التربوية الجزائرية، حيث ترمي المقاربة بالكفاءات إلى منح المتعلم الكفاءات التي تمكنه من تحديد مساره وتبني مبادئه ومنهجه الخاص في الحياة، وهو على وعي ودراية تامة، فيصل إلى درجة من النضج، يستطيع من خلالها الاستقلال عن محيطه وتحديد مستقبله و مصيره . أما بالنسبة للمدرسة فتهدف إلى جعلها أكثر نجاعة في مواكبة مفارقات الحياة وتغييرها وتطورها المستمر

13 لخضر لكحل، «المقاربة بالكفاءات: الجذور والتطبيق»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 04 خاص:ملتقى التكوين بالكفايات التربوية، (2011)، ص 85-88.

14 لطفي الحلاوي، فلسفة التربية الاشكالية الراهنة ، ص 71 - 73 .